كلمة المدير التنفيذي لأجفند، الأستاذ ناصر بكر القحطاني
الدورة الأولى في جائزة الملك عبد العزيز حول الطفولة والتنمية
" تنشئة الطفل على المواطنة"
المجلس العربي للطفولة والتنمية
القاهرة ٢٠ يونيو ٢٠١٩

صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن طلال بن عبد العزيز

رئيس المجلس العربي للطفولة والتنمية

معالي الدكتور مفيد شهاب، أستاذ القانون الدولي ووزير التعليم العالي الأسبق

سعادة الدكتور حسن البيلاوي، الأمين العام للمجلس العربي للطفولة والتنمية

الحضور الكريم من السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

- بداية نثني على مبادرة المجلس العربي للطفولة والتنمية باستحداث " جائزة الملك عبد العزيز في مجال الطفولة والتنمية ". فإطلاق الجائزة وربط قضاياها برمز عربي عظيم هو خطوة موفقة . واختيار " تنشئة الطفل على المواطنة " موضوعا للدورة الأولى في الجائزة له دلالات كبيرة وعميقة لا تنفك عن الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - وسيرته العطرة التي يتمثلها أبناؤه في كل عهد.
- فالملك عبد العزيز، الذي حقق نجاحاً قياسياً في تأسيس دولة أصبح لها شأن كبير في محيطها وإقليمها والعالم، هو أيضا باني أنجح وحدة عربية .. ولذلك فمفهوم المواطنة عنصر أصيل في تاريخ المملكة ومؤسسها.
- المواطنة - بما تتضمنها من معان وعناصر تناولها المفكرون بالتحليل - تشكل لازمة من لوازم تماسك المجتمع ، وقوة نسيجه . وتقديرنا أن المواطنة لها مقومات لا غنى عنها يستطيع الباحث الحصيف أن يلمس أساسها في مفهوم استدامة التنمية وشمولها كافة فئات المجتمع وشرائحه، وصونها كرامة الإنسان وحقوقه. فأهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠ التي اعتمدتها الأمم المتحدة منهاج عالمي يشتمل على ١٧ هدفاً تتضامن كلها في تحقيق المواطنة بمفهومها التنموي. وبعض الدول العربية ومن بينها المملكة العربية السعودية تبنت لنفسها رؤية تنموية بخطط مرحلية واضحة تقاس ويتم تقييمها. فنأمل أن تحذو بقية الدول العربية هذا الحذو.
- في هذه المداخلة سأتناول بعضاً من مقومات " المواطنة" وبنيتها التحتية التي تعكسها البرامج التنموية في أجفند . فبعد إعمال الفكر في التنمية وإشكالاتها توصلنا في أجفند إلى خمسة برامج يتمحور حولها النشاط التنموي.
- **البرنامج الأول:** الطفولة المبكرة، لأن هذه المرحلة مكنز لحياة الإنسان ومستقبله . ومن هنا فالاعتناء بالطفل في هذه المرحلة الحساسة يعني إعداده ليكون مواطناً إيجابياً . فكما يقول التربويون: يولد الطفل بـ ١٤ نافذة ليستقي العلم والمعرفة . وإذا لم نهتم بالطفل من الولادة حتى السابعة فإننا نغلق أمامه نحو اثنتي عشرة نافذة معرفية. ولذلك فإن الاستثمار في الطفولة المبكرة يغرس الإبداع والتطلع في الإنسان . وتحقيق هذا الهدف هو ما بدأ به أجفند جاعلاً المجلس العربي للطفولة والتنمية الذراع المتخصص في هذا التوجه.
- **البرنامج الثاني:** تمكين المرأة، فمن أبجديات استدامة التنمية أن أي خطة لا تضع تنمية المرأة في حسبانها تحكم على نفسها بالإخفاق منذ البداية. فالمرأة هي نواة الأسرة والمحضن الأول للطفل الذي سيكون مواطناً . والاهتمام بالمرأة واحترام قدراتها وتمكينها من حقوقها المشروعة يجعلها قادرة على تنشئة أطفالها على المواطنة بوعي. ولذلك يتخذ هذا المحور موقعاً متقدماً في برامج (

أجفند). وليكون العمل فيه مؤسسياً قام (أجفند) بإنشاء مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث (كوتر) بشراكة دولية، والمركز الذي مقره تونس له اسهامات واضحة في التعبير عن أدوار المرأة العربية في خدمة مجتمعها وتعزيز مفهوم المواطنة.

- **البرنامج الثالث** هو تنمية المجتمع المدني والمنظمات الأهلية لتكون عوناً للحكومات في تحمل مسؤوليات التنمية. ولا شك أن الوعي بمفهوم المواطنة أساس مهم لبناء مجتمع مدني متفاعل ومتجاوب مع ضرورات التنمية وتصاعد أدوار المنظمات الأهلية عالمياً . وقد استقرأ (أجفند) مبكراً جدوى هذه الكيانات المجتمعية، ولذلك تم اعتمادها شريكاً تنموياً إلى جانب منظمات الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية ، وأوجد لها وعاء تنموياً جامعاً هو الشبكة العربية للمنظمات الأهلية، ومقرها هنا، في القاهرة.
- **البرنامج الرابع** هو التعليم المفتوح، الذي تمت المبادرة به إسهاماً في حل الإشكالات التي تواجه مؤسسات التعليم العالي في المنطقة العربية في تلبية الطلب المتزايد، وتنامي الفئة العمرية من الشباب الذين لا يجدون فرصاً في الجامعات التقليدية. وبالتالي يشعرون أن حقهم في المواطنة منقوص . فكان تأسيس الجامعة العربية المفتوحة المنتشرة الآن في ٩ دول عربية. وفي الجامعة فرص واسعة للمرأة ولذوي الاحتياجات الخاصة. ومناهج الجامعة وتخصصاتها تخاطب العصر ومستجداته ومتطلبات سوق العمل. ولعل الدكتور مفيد شهاب، الذي شارك في المراحل التأسيسية للجامعة، يذكر الترحاب الذي لاقته تلك المبادرة.
- أما البرنامج الخامس في برامج (أجفند) التي تعزز المواطنة فيقوم على الإيمان بأن المجتمع الذي ينتشر فيه الفقر يكون مفهوم المواطنة فيه غير متكامل، بل يشعر الإنسان فيه بالغبن لقصور الخطط عن الأخذ بأيديهم من وهدة العوز وإهدار الكرامة. فليس أشد من الفقر وطأة على كرامة الإنسان. ولذلك قام أجفند بتوظيف نظرية "الشمول المالي" لمكافحة الفقر، و بدأ مشروعه لتأسيس بنوك متخصصة منذ منتصف تسعينيات القرن العشرين، وتم إنشاء ٩ بنوك للشمول المالي تعمل بكفاءة، وتبدع منتجات تحقق أهداف التنمية المستدامة ، وتسهم في حل مشكلات اجتماعية واقتصادية. وتسجل بنوك أجفند تطورات مذهلة، فهناك مشروعات صغيرة جداً تنمو بجهد نسائي وبقروض بنوك الشمول المالي. وفي السجلات قصص نجاح لأرامل وشباب غيروا مسار حياتهم بعد أن فارقوا البطالة ليوفروا فرص عمل لغيرهم.
- تلك وقفات موجزة مع برامج أجفند التي تسهم في دعم توجهات مجتمعاتنا العربية لغرس قيم المواطنة.

وقبل أن أختم هذه المادخلة أقول :

- لقد اعتدت خلال المناسبات التنموية التي كثيراً ما عقدت هنا في القاهرة أن أكون في رفقة صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز ، رحمه الله، أو أن اتشرف بنقل تحيات سموه و تطلعاته لكل تجمع عربي أن يحقق مقاصده في مستقبل أفضل للإنسان العربي، وكذلك كنت أنقل مشاعر الحب التي يحيط بها مصر أرضاً وشعباً.
- اليوم نفتقد سموه، وكل المهتمين بالعمل التنموي يفتقدون ذلك الإنسان المثال، الذي أغنى العمل الإنساني والتنموي بفكره، وإسهاماته الجليلة. ونحن في أجفند، على وجه الخصوص، نشعر بعظم الفقد ، فتوجيهاته، التي دأب على تزويدنا بها جعلت من أجفند منظمة رائدة في الحراك التنموي.
- أما وقد ارتحل الأمير طلال فنحمد الله كثيراً أن حصاد فكره حاضر بيننا، ويحفزنا للأفضل . فالبنية الأساسية التي عرضناها في هذه الكلمة عن مقومات المواطنة هي من عطائه الخير، ورؤيته المتقدمة لبناء المجتمع المستقر الراسخ ، التي عمل عليها منذ تأسيس أجفند في ثمانينيات القرن الماضي، بل قبل ذلك.
- ربما لا يعلم كثيرون أن مظاهر التكريم كانت تنهال على الأمير طلال تقديراً لجهوده التنموية والإنسانية، ولكنه كان عازفاً شديد العزوف عن أي تكريم ، لأنه يرى أن ما يقوم به هو واجب. ولذلك كان يرفض ترشيحه لأي جائزة بما فيها جائزة نوبل. وفي الوقت نفسه كان يحث على تكريم غيره، ومن ذلك دعوته لتكريم البروفيسور محمد يونس بجائزة نوبل، وقد حازها.

- **إن شاء الله الجينات النبيلة لسمو الأمير طلال باقية في أبنائه، ومبادراته متجددة عبرهم. ولذلك ستظل قناعته الحكيمة بأن المبدأ الذي تؤسس عليه عدالة التنمية واستدامتها هو عدم التمييز بين الناس. كما أن ل عبارته القوية المشهورة : " الإنسان هو الإنسان أينما كان " ستظل تدوي في ميادين التنمية حول العالم.**

رحم الله الأمير طلال وأجزل له المثوبة.

ختاماً نسأل الله للجميع التوفيق والسداد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.